

المنازل الرخيصة في الغرب ^(١)

قال اللورد روزبري : ان من يعمل لما فيه انهائس تلك الجماعات من الناس الذين قضى عليهم ان تصغر وجوههم ونذل نفوسهم وتخط مداركهم في المساكن القذرة التي ينزلونها هو بلا شك عامل على ما فيه نفع الجنس البشري عامة

ولقد نشأت الفكرة الاولى لانشاء بيوت للعملة حوالى سنة ١٨١٠ وزادت حركتها سنة ١٨٣٥ وذلك على يد شركات المشاجم بين الحدود الفرنسية والبلجيكية واحتذى احد ارباب المعامل الالمانية سنة ١٨٣٥ حذو الشركات الفرنسية فأنشأ في موهوس احدى مدن المانيا مسكناً كبيراً في حديقة تشتمل على ٣٦ منزلاً فتم عمله على احسن الاساليب واقتدى به كثير من اهل المقاطعات في الشرق والشمال من فرنسا

وفي سنة ١٨٥١ توسع احد الفرنسيين في هذا الفكر وانشأ شركة عمرت لالف ومائتي اسرة الفاً ومائتي مسكن منفرد بعضها عن بعض ولكل منها حديقة يصبح ساكنها مملكاً لها وللمنزل بعد مدة يدفع ثمنها على نجوم مقرر

وبدأت انكاثرا في سنتي ١٨٤١ و ١٨٤٨ بالافتداء بالفرنسيين والالمان في هذا السبيل وانشأت احدى شركات فرنسا مساكن طيبة للعملة كل منها مؤلف من حديقة وطبقة ارضية ومطبخ وغرفتين وبني الطبقة الثانية ثلاث غرف وبيت مؤونة وقبو ولم يكلف المسكن اكثر من ٢٩٣ جنياً يضاف الى ذلك ثمن الارض التي لم يكلف مئرها اكثر من خمسة الى ستة فرنكات وجعلت ايجارها الحقيقي كل سنة ٢٣٠ فرنكاً اي اقل من فرنك كل يوم عن مسكن يؤوي عائلة مؤلفة من خمسة الى ستة اشخاص واذا اراد الساكن ان يملك المسكن في خمس وعشرين سنة يجب عليه ان يؤدي زيادة عن الاجرة ١٦٩ فرنكاً فاذا كان الساكن من العملة الذين يرجعون في الساعة من ٦٠ الى ٨٠ سنياً اي لا اقل من ستة فرنكات في اليوم يتأني له ان يسكن في مثل هذه الدار ويملكها بعد ذلك ان اراد بتوفير شيء قليل من نفقاته

وكانت هذه البيوت في ضاحية باريز ولما ارتفعت اسعار الاراضي هناك احبت الشركات ان تبعد عن العاصمة اكثر فأصبحت تبني بيوتاً لا يكلف الواحد منها اكثر من خمسة آلاف فرنك . كما انشأت ايضا بيوتاً لم تكلفها اكثر من ٣٣٠٠ فرنكاً وبيوتاً لم تكلفها

(١) ملخصة من كتاب المساكن الرخيصة لجان لاهور من افاضل فرنسا وقد

طبع حديثاً

أكثر من ٢٨٠٠ جمعت ايجار الاخيرة منها ١٤٠ فرنكا في الدنة وفيها معظم ما يحتاج اليه من الغرف والمطبخ والانيار وحديقة لطيفة .

وانشأ الانكليز بيوتاً رخيصة في جنوبي لندن كما انشأوا منذ سنة ١٨٦٧ في شمالي انكلترا في بعض المدن الصناعية بيوتاً يقل ثمن الواحد منها عن ستة آلاف فرنك جعلوها درجات فالدرجة الاولى لا تتجاوز اجرتها في اليوم فرنكين وهكذا الى الدرجة الخامسة . وسكان هذه البيوت او مستأجروها لا يقبضون في يومهم أكثر من عشرة فرنكات ولا اقل من سبعة . واقيم في وسط تلك الحدائق التي انشئت البيوت عليها متنزه عام تكون فيه الاجتماعات وتقام فيه الشعائر الدينية وخصص محل منه للسماع والمراقص والمجامع وفي جانب ذلك خزانة كتب عامة وغرفة كبرى للطالعة وغرفة للعب « البلياردو » . وحذا حذو هذه الشركات كثير غيرها في جميع الاقطار الانكليزية وبعضها يدفع نحو خمسة في المائة فائدة الاموال التي يستقدمها في هذا السبيل . قال اللورد بيكنسفيلد سنة ١٨٧٤ عندما رأى حياً من تلك الاحياء التي انشأها احدى الشركات ليقيم فيها العملة : « انني لم اشعر في حياتي بدعشة اشد من دعشة عرتني عندما زرت هذه المدينة المغفرة (شافنوبورغ بارك) وقد تجلى لنا ظري نجاح ساكنيها الذي هو ولا شك ضمان لارتفاع الامة . ولطالما جال في خاطري ان لا شيء يحمي حى المدينة مثل البيت فهو مدرسة جماع الفضائل الاهلية وبدون مسكن لطيف الباطن يتعذر عليها في الحقيقة الوصول الى هذه الفضائل »

وكان يقتصر في امثال تلك المساكن سابقاً على الضروري من الحجرات ويعنى باسباب الراحة فقط اما الآن فقد ارتقت الحال في تلك الشركات شأن كل حى في الوجود فصارت لا تقتصر في بنائها على الضروري بعض الشيء بل رأت التأنيق والزخرف لازم لحياة الساكنين ايضاً .

جرت عادة بعض السكك الحديدية او التراموايات في اوربا ان تسقط كثيراً من اجورها لمن يشترك بها من العملة لان الدور الرخيصة التي بنيت لم تكون في الغالب بعيدة عن المدن الكبرى وحالتهم المالية لا تساعدهم على اداء اجورها كماثر الناس فكان من شركات تلك البيوت ان عقدت مع ادارات السكك الحديدية مقاولات لمراعاة الساكنين في بيوتها مراعاة لا تكاد تصدق

ومن لم تساعدهم حالهم من العملة والفقراء في الغرب للابتعاد عن المدن كثيراً فقد جعلوا لهم مساكن متلاصقة بعضها ببعض . وكل ساكن حر في منزله وفيه يجد ما يلزم للبيوت فيتيسر بذلك للساكن ان يبيع نصف التماز الى بيته ليتناول الطعام مع اهله

وفي ذلك من الاقتصاد ما فيه اذ يمتنع رب الاسرة عن الذهاب الى المطاعم او الحانات وكلها مما تضر بصحته وكيسه معاً وبذلك لا يصعب عليه ان يدفع اجرة انجلي من الاجرة التي يدفعها البعيد عن مسكنه . وقد استشرت شركات عظمى غنية في لندن منذ سنة ١٨٤٥ وكثرت في المدن البريطانية ورأس مال كل شركة من هذه الشركات لا يقل عن مليوني جنيه وتدعى امثال هذه الدور « دورا التكن » (القشلاقات) وهي ابنية عظمى ذات خمس طبقات كل طبقة منفرد بعضها عن بعض بفصل بينها فناء متسع يلعب فيه الاولاد وقد فتحت فرج في الادراج وجلت في بعضها ممرات ومنافذ يدخل اليها النور والهواء وليس فيها دهاليز مظلمة وهي على غاية النظافة على انواعها مستوفاة شروط الصحة كل الاستيفاء . ومعدل اجرة مسكن ذي ثلاث غرف في مثل هذه المساكن هو ٤٠٠ فرنك . واجرة الغرفة الواحدة نحو ١٣٧ فرنكاً ومعدل اجرة من يسكنون في امثال هذه المنازل سنة فرنكتين في النهار يدفعون اجورها صاحب كل اثنين من كل اسبوع . وتساءل الشركة عن سلوك من يريد السكنى في بيوتها وعن مسلكه وذمته في اداء الحقوق وهي تؤثر الاسرة التي لها اولاد على غيرها على حين ان اكثر المؤجرين لا يرضون ان يكرؤا بيوتهم لمن كثير اولادهم فكان ذلك في فرنسا من جملة الاسباب في قلة النسل فيها

وقد اوصى المستر بابودي الاميركي سنة ١٨٦٢ باثني عشر مليون فرنك لانشاء دور من هذا النوع في وسط مدينة لندن بنفق ربعها كل سنة لانشاء بيوت جديدة وقال في وصيته انه بعد انقضاء قرن يكون الربع السنوي الناتج من الايجارات قد بلغ مبلغاً عظيماً فلا يكون في لندن عامل فقير واحد لا يحصل على مسكن موافق له ولا سرته باجرة تناسب ما يقبضه

ولولم ينزل كما قال الخبيرون معدل الفائدة بعد مرور مائة سنة على موت هذا الكريم لجاوز ما جاد به مليونين واسكن ٣٥٠ الف اسرة . وقد ظهر بالاحصاء ان الوفيات ولا سيما وفيات الاطفال تقل في بيوت المحسن بابودي اكثر من غيرها وان المواليد فيها اكثر وان مساكنه كان لها تأثير حسن في الصحة

والغالب ان هذه المساكن ناجحة في انكثرت اكثر من غيرها من البلاد الاخرى وفي مثل هذه البيوت بقليل من الدكاك والعمل يمكن اللام التي تقول عن نفسها انها متدنة وانها تفتي ذاك الجذام الحبيث من المساكن الضيقة التي تموت فيها الصحة وتفتي القوى بما ينبعث من روائحها الخبيثة وما يتزاحم فيها من الاقدام والانفاس وما يقبل عليها من الوحشة والبساعة وما تكون سبباً له من الامراض والاختلاط الضار والانحطاط الطبيعي والادبي

ولم تكثف احدى الشركات في لندن بإنشاء بيوت رخيصة بل انشأت مطاعم رخيصة للعملة . وانك لتدخل تلك البيوت والمطاعم فلا تشهد فيها اثراً للفاقة والفقر . وقد نظرت بعض تلك الشركات الى مصلحتها المادية والى مصلحة الساكنين ورأت ان اعمالها لا تدرم الا اذا كان ربحها معتدلاً فكان معقماً يعطي ارباحاً ثلاثة ونصفاً في المائة وبعضها اكثر من ذلك اي بقدر ما يعطي القنصليد الانكليزي او غيره من اوراق بعض الحكومات وفي ذلك من الفائدة للعملة البائسين ما يخفف عنهم شقاء الحياة وفيه خدمة المجتمع بامره واي فائدة له اكثر من ان يرى الشقاء يقل فنقل معه الاحقاد والحسد والثورات ويكون ارباب الاموال آمنين على اموالهم من الضياع وهم يتجرون في غرض شريف . وقد اسفرت مشاريع انشاء هذه الدور عن ربح معتدل لمن قاموا بها ولذلك اقبل عليها هناك من لا يحبون المخاطرة باموالهم في المضاربات وغيرها

وما عدا هذه المنازل والدور الخاصة بالاسرات فان القوم اقاموا غرفاً مفروشة للايجار يسكنها رجل واحد او امرأة واحدة او فتى . فقد انشأت جمعية الاحسان في باريز نزلاً او حياً من مثل هذا واخذت تؤجر الغرفة الكبرى بفرنك في اليوم والفرقة الصغرى بستين سنتياً وهذا النزل عبارة عن خمس طبقات نظيفة يكثر فيها النور والظرف وغرفة المائدة متصلة باحد المطاعم بشروط عقدتها معه وتقدم لها الاطعمة الجيدة بثمن بخس ومثل ذلك تجد في شيكاغو بامبركا وغلاسكو في انكلترا وغيرها في غيرها

وما نلتفتوا بإنشائه من المساكن منازل للعزاب اقامها في لندن اللورد روتون فبلغت اليوم نحو خمسمائة مسكن يسكنها نحو ثلاثة آلاف وخمسمائة مستأجر ينزلون فيها ما احبوا ثم يغادرونها . وهذه المساكن اشبه بشكن جميلة آخذة من القوانين الحمية بنصيب وافر وكل مقصورة او غرفة منها اشبه بربط الحصان يسكنها الفرد وتكون مفتوحة من اعلاها . والمغاسل وغرف الاجتماع والطعام مشتركة بين الساكنين وهي معرضة للهواء النقي والنور الذي ينعكس عليها من القرميد الابيض المعمول بالميتا على السطوح وغرف الاجتماعات فيها مزدانة بالصور ومزخرفة اي زخرف وبيع فيها الطعام والنياب باثان بخسة واجرة الغرفة في اليوم ستون سنتياً . ومع كل هذا الرخص لا تخلو الشركة القائمة بأمر هذه المساكن من ربح تجنيه . وبالسكنى في تلك البيوت يخلص العامل او المستخدم من قسوة المؤجرين وطعمهم الاشعبي وينزل غرفة لا اوساخ فيها ولا اقدار بعيدة عن منهكات المحبة وامثال هذه الشركات كثيرة في انكلترا ونفوق ما هو من نوعها في فرنسا وقد انشئ معظمها وادير بيد مشاهير من النبلاء كان لهم البرنس البرت والبرنس دي نال احسن قدوة بقائدهون

بها وقد حملتهم على الاستكثار منها اسباب كثيرة منها الخوف من ازدياد البؤس هناك وما احدث في قلوب العقلاء من القلق ولا سيما كثرة السكان في لندن وغو طبقات العملة بلغ رأس المال الموضوع في انكلترا لانشاء بيوت رخيصة للعملة مليار فرنك وسيتم فرنسا مائة مليون فرنك ومعظم تلك الاموال تدفعها الحكومة كما هو الحال في المانيا وتدفع احيانا من دوائر البلديات كما يجري في المانيا وانكلترا وروسيا . واقوم بذلك في بعض الاحوال شركات مختلفة النوع والصفة . وما احلى ما تقوم به المانيا وتسلفه لمعلمتها ومستخدميها المساكين من الاموال لتقيم لهم بيوتا رخيصة ما يمكن . وما عملها هذا لو دققنا النظر الا الاشتراكية العملية على ما نتجلى في العادة الاشتراكية في شمال اوربا اشتراكية ليس سداها ولحماتها كلاما ولا خصاما فلما ينفع بها الاناغو ضرارها ثم خصومهم ثم العدو الغريب

قال جان لاهور وافي وان رأيت ان تسير الامور اولاً بمعونة الحكومة وحمايتها ولكني اوتر ان نعمل عزائم الافراد عملها مستقلة فان العزائم اذا جمعت عظمت بالاشتراك وانكلترا اعظم مثال في هذا الباب . نعم ان الاقدام الشخصي والشركات الخاصة انفع للامة في هذا الشأن . لان القاء المسؤولية على عاتق الحكومة لا يكون منه الا سوء ادارة وقلة اقتصاد وعمل متوسط باكلاف مفرطة فيما نتولاه . ثم ان الاعتداد ابداً على الحكومة يورث الامة عادات ضارة تنزع منها النهور بالاستقلال الذي هو احرص ما نحرس عليه نفوس العقلاء ويعبث بالثرية الحرة ولا سيما في بلاد دستورية

ان معنى مطالبة الحكومة ان نعمل كل شيء او مطالبتها بمعظم شؤون الامة هو تمويل الامة على ان لا نعمل لنفسها بنفسها شيئاً او انها تعمل لتافه الحقيقير من الاعمال ولا يجب ان تدخل الحكومة الا حيث يضعف عمل القوة الفردية ويحقق اتحاد الشركات الحكومة اذا نافست الافراد توشك ان تنزع منهم الهمة وتضعف فيهم الجهاد واذا تولت ادارة مثل هذه الدور لتنتهي بأن تعين لها عمالاً كثيرين من لدنها على ان كثرة الموظفين هي اليوم القسرية القاضية على الامم كانتشار المشروبات الروحية وربما كانت من مفاسد عنصرنا وامراضه الويلة وفيها الخطر كل الخطر علينا . الا لكحول سم الارادة والاحترام الشخصي والتوظيف كما هو الآن عندنا لا يقل عنه ضرراً . وما التوظيف في الحكومة لئلا رواتب تدفعها لموظفيها الا صورة من صور الرق والعبودية القديمة في مظاهر جديد يضطرب فيه صاحبه ان يطابق حرية روحه وفكره على حين ترى الخدام ممنعين بها . ولقد نرى حكومات في الغرب كحكومة المانيا مثلاً قد انتهت لهذا النقص فما احببت ان تكثر من بيوش الموظفين كما هو الجاري في فرنسا وان لنهك ميزانيتها بالملايين للادارة عليهم

بل خصصت ملايين في ميزانيتها لاعمال من مثل هذه مصبوغة بصبغة الديمقراطية والاشتراكية العملية . اما انكثرا فلحسن طالها ان تنوذها في رعاياها قليل والقول الفصل فيها لمسة الافراد

وقد قررت دار الندوة الانكليزية سنة ١٨٩٠ ان تمنح المجالس البلدية حتى نزع ملكية البيوت القدرة وان تمديد معونتها للشركات وتسلفها اموالاً في مقابلة رهن لاعادة تلك البيوت الى حالة حسنة تجمع الى النظافة الرخص ويعود الفقراء فيسكنوها فكان في ذلك من المنافع الصحية العامة ما ظهر اثره في وجوه السكان وصحتهم . ولا معنى لكساحل الحكومة وقلة عنايتها وهي المسيطرة على القانون ان تترك الناس وشأنهم اذا بلغت بهم الحال الى هذه الدرجة من البؤس على ان هذا البحث كان موضوع المناقشة في المؤتمر الدولي سنة ١٩٠٠ وانقسمت الآراء فيما اذا كان يجب صرف اموال الضرائب في اقامة بيوت رخيصة كما يجري في لندن وبرمنغهام من بلاد الانكليز وفي فريبورغ وأولم في المانيا وفي غوتسبورغ في السويد على يد المجالس البلدية الا ان الرأي العام كان مناقضاً لهذه الاشتراكية

وانك لتجد للمالك الصغرى في اوربا من العناية بامثال هذه المشاريع بالممالك الكبرى وزيادة . فاذا كنا نسمع بنور المدنية ينبعث من المانيا وانكثرا وفرنسا في اوربا فان سويسرا والدانيرك والسويد والمجيك وهولاندة لا تقل عنها في المشاريع العامة الخيرية ان لم نقل انها تنوقها في اكثر حسات المدنية لان القيمة الصغيرة يسهل ازديادها اكثر من الكبيرة كما يقولون ولان الصغير المدير يتيسر له ضم اطارفه اكثر من الكبير المتوسع في املاكه . خذ مثلاً لذلك البلجيك فإنها بفضل صندوق التوفير العام فيها قد اصبح خمسة عشر الف عامل فيها يملكون بيوتاً يسكنونها وذلك في مدة عشر سنين اسلف هذا الصندوق في خلالها اثنين وثلاثين مليوناً من الفرنكات للعملة والشركات وبواسطتهم عمرت هذه البيوت الرخيصة على ان امثال فرنسا ومانيا وغيرها من الممالك الكبرى معها عين باعانة الباشين وايواء المساكين فلا يبقين الا مقصرات فان شركات المانيا وغيرها من الافراد اسلفت العملة ثمانية مليون مارك لمثل هذه الاعمال الاجتماعية وكذلك فعلت انكثرا وافرضت عملتها . ترى بعض شركات كشركة البناء فيها لا تبني بيوتاً بل تقرض مالا للعملة يبنون لانفسهم به فيؤدي العامل كل يوم اثنين عشرة فرنكات مثلاً اي ٥٢٠ فرنكاً في السنة بحيث يجتمع له بعد ثلاث سنين ١٦٠٠ فرنك وبذلك يبرهن بانه يستطيع ان يقطع وعند ذلك يعمد الى شركة من شركات بناء الدور الرخيصة ويطلب اليها ان تقرضه مالا لانشاء مسكن فيؤدي اليها اولاً ١٦٠٠ فرنك التي انتصدها وثانياً مبلغ ٢٤٠٠ فرنك بدفعها بعد

فتكون كلها اربعة آلاف فرنك ويظل على تأدية عشرة فرنكات كل يوم اثنين من الاستهلاك . وقد كثرت انواع هذه الشركة وكان عددها في انكلترا ٢٢٤٣ شركة لا يقل رأس مالها عن مليار فرنك حتى ان بعضهم رأى ان بعض تلك الشركات تقبض من العملة المشتركة معها كل يوم اثنين مليون فرنك

كل هذه الاعمال لا ترى فيها للحكومة الا اثراً ضئيلاً وما عدا ذلك فالافراد والشركات يدبرون ما يدبرون وكذلك رؤساء المعامل فان منهم من يهتمون هناك بمصالح من يعملون عندهم اهتمامهم بمصالح اولادهم ولا سيما في البلاد الجبلية التي لا ترى فيها الا صخوراً او مضائق واودية .

وقد استعمل بعضهم البيوت النقالة التي اخترعها الاميركان لتكون عوناً على استعمار بعض الاطراف البائرة والاصقاع المتناحية في الولايات المتحدة وهي مصنوعة من خشب الصنوبر وتختلف قيمتها بحسب ما فيها من الغرف من ٢٥٠٠ فرنك الى ٩٥٠٠ فرنك ينقله الانسان حيث اراد وكذلك البيوت الخشبية التي اصطلح عليها في بلاد النرويج والسويد والروس وكلها من احسن الامثوزجات في البيوت الرخيصة

رأى بعض الاجتماعيين ان تولي رؤساء المعامل من امر عملتهم ما يتولون في بعض بلاد الغرب فيقنطعون جزءاً من اجورهم لسداد ما عليهم من ائمان مساكنهم التي تكون ملكاً لهم بعد قليل من السنين — ان هذا العمل يفقد العملة انقلالهم بعض الشيء فيضطرون ان يعملوا في معامل رؤسائهم ريثما يوفون ما عليهم او يخرجون منها قبل وفاء ما عليهم فيلقون المشا كل وما عدا هذا المخذور فان تولي الرئيس او المعلم امر عملته والنظر في مساكنهم وانشاء بيوت لهم او حملهم على الاقتصاد هو السداد بعينه

وفي بعض البلاد لا يتأق الا ان يتدخل رؤساء المعامل في احوال مستخدميههم كبلاد روسيا مثلاً . ولذلك كانت مساكن العملة في اكثر ارجائها بدبعة مستوفاة شروط الصحة ولا سيما في الاماكن البعيدة عن السكان والعمران مثل معمل (داغوكردل) لصاحبه البارون ادنجرن ستمبرغ فانه انشأ لكل عامل داراً منفصلة عن دار جاره فبلغ عددها ٣٣٧ داراً فيها عامة مرافق البيوت وحديقة للثأر واخرى للبقول وغيرها يقنطع من اجرة العامل خمسة وعشرين في المائة فما هو الا كلاً ولا حتى يصح العامل صاحب دار فسيحة وحديقة انيقة ويشرب السكان من آبار ارتوازية طاهرة بحيث تكاد لا تجد للعن التيوفويدية بينهم اثراً مع ان هذه الحمى يكون انتشارها عاماً في البلاد الروسية واعمار من يعيشون في هذه المساكن اطول من اعمار من يسكنون في غيرها . وكم للعملة من بيوت لا يقنطع

عيونهم عليها بعد حين الا وهي ملك لم يخلفونها لدرارهم جيلاً بعد آخر . وان افاضل الروس واجدادهم لم يفهم ان يسلطوا ايديهم بالعطاء للمساكين يذنون لهم به دور احنة تووهمر فتد اوصى سولو دفنكيوف لمدينته باثني عشر مليون روبل لانشاء بيوت يسكنها البائسون المحتاجين

ومن المعامل التي وسعت على عملتها ونظرت في رفاهيتهم معمل كروب الالماني فانه مثال المشاريع العظيمة وفنودج من حماية صاحب المعمل لمعملته وعدم احتقاله بالمال في سبيل راحة من يقومون باعمالهم لتفقه ونفعهم . فان هذا المعمل وان شئت فقل المعامل المعروف بدائقه وعدده الحرية صعب عليه ان يرهق العاملين فيه كما يرهق البشر بمصنوعاته فانشاء لمعملته في مدينة اسين الجبيلة على نهر الروهن ثمانى مدن وخمس مستعمرات وبيوتاً منفردة يسكنها العاملون آمنين مطمئنين . فهناك زهاء خمسة آلاف مسكن يقطعها زهاء ستة وعشرين الف نسمة وقد ازدادت بالنباتات المرشة والزهور البديعة واستوفت من داخلها وخارجها اسباب الظرف والزينة وكل ما يميل العين قررة والصدر مسرة واقامت ادارة المعمل بالقرب من تلك البيوت بيوتاً اخرى جميلة فسيحة للعملية الاجزين والاياسى من نساء العملة . ويتصل بالمعمل شركة تبيع الماء كولات كما تتصل به مستشفيات ثامة العدة وبيوت للنقاهة وقاعات للاجتماع والمضالعة وقد صرفت ادارة المعمل على انشاء هذه الدور نحو مليون جنيه .

وفوق دور معامل كروب دور معامل الصابون في بورت سولخت وقد عرضت ادارة هذا المعمل النموذجاً من الدور التي توّجر في الا - بوع من اربعة الى خمسة فرنكات في معرض باريز سنة ١٩٠٠ فكانت محل العجب وربما كانت هي المعول عليها في المستقبل لايواء العملة وراحتهم ففيها جماع مرافق الحياة وفي كل منها حديقة لليقول توّجر على حدة باجرة طفيفة جداً . وهذه الحدائق يمكن زرعها على ايسر سبيل بما انشأته عقيلة من عقيلات الكرم والعقل من شركة توّدي للعملة ما يلزمهم من الارض والبذور « النقاوي » والنباتات لغرسها في حدائقهم او لتزوين بيوتهم بها

في انكترا قرية لا تقل في الغرابة عن معامل كروب ومعامل الصابون المذكورة آنفاً وهي القرية التي انشئت سيفي تورفيل على يد طائفة الكواكر البرستانية اعني بهامعامل الشوكولانا فان هذه الشركة رأت ان جمال مناظر المساكن مما كان نازلوها فقرا مطلوب لذاته فبذل افراد من هذه الطائفة مالهم لانشاء هذه المدينة النادرة في شكلها واقامت لها اندية والعباب وخزائن كتب ومحال للسباحة وبيوتاً تحف بها الخضرة والنضرة على طريقة جميلة

ليس فيها مظهر من مظاهر الزخرف التكاذب بل فيها جميع ما يلزم الحياة وبعضها مزين مبهرج منقوش ولا يكلف السكنى فيها كل اسبوع أكثر من ٨ الى ١١ فرنكاً . وقد قال مدير العمل لاحدهم تناسبية انشاء هذه الدور ان المذاهب السياسية لا تأثير لها ولو كنا كلنا نقوم بالواجب علينا لبطلت الحروب بين طبقات الناس وليت شعري ماذا لا تقوم المجالس البلدية بتبث ما جرأنا نحن على انقيام به ؟ وان الشرح ليعطول لوعدها المدن التي انشأها ارباب المعامل في الولايات المتحدة لعملائهم حتى ان حي العملة في شيكاغو يعد من اهم احياء تلك المدينة الصناعية العظيمة واجملها . ولا تنس البيوت التي اقامها بعض ارباب المعامل في فرنسا ولا سيما شركة معادن لانس فانها احدثت اربعة آلاف مسكن مختلفة الاشكال لعملائها ومستخدميها وكذلك انشأت شركة مناجم لينين اربعة آلاف مسكن واجرة الواحد منها ١٥٠ فرنكاً . وبعض المعامل تقرض عملائها دراهم لا يتبايع ارض وبناء مسكن فيكونون في الحال مالكيين لها ويختارون المهندس التي يريدونها وبعضهم يؤجر كل بيت في الشهر من فرنك وربع الى ثمانية فرنكات وربما اعطوه مجاناً في بعض الاحوال وقد استلقت عملة مخم كروزي مليوناً وستائة الف فرنك لانشاء بيوت لهم كما اقتترض عملة مونبوليين زهاء مليون

وفي مدينة سوشار من اعمال نوشاتل في سويسرا في معمل الشوكولا تاحي^٢ عظيم لعملة المعمل ومستخدميه جاءت بيوتهم على صور مختلفة منها ما اجرته سبعة عشر فرنكاً ونصف ومنها ما اجرته ثمانية عشر فرنكاً ونصف تدفع الشركة نصف اجرتها من عندها . ومن بيوت العملة التي استحدثت النشاء مدينة فيلبرون من اعمال انجليك في معمل الزجاج وفي مدينة ولت سيفي هولاندة وغيرها . وكماها بيوت ان امنت النظر فيها تقضي بالانشاء الكثير للساعين بها على خدمتهم الحقيقية للانسانية والوطن والاشتراكية العملية

وما عدا دور العملة والعناية بامرهم تجد في اوربا جمعيات احسان اخذت على نفسها انشاء بيوت رخيصة يسكنها كل فقير بدون استثناء . وقد بلغ عددها في فرنسا ٦٧ جمعية واقدمها جمعية باريز انشئت سنة ١٧٨٠ فانشأت بيوتاً مشتركة لا يكلف السكنى فيها كل اسبوع أكثر من ثلاثة فرنكات وربع الى سبعة وربع في مساكن فيها ثلاث غرف ومطبخ وقد استوفت شروط الراحة من هواء طلق ونور كثير ونحوه يسرح فيها النظر وماء كثير طاهر يجري لمن يريد وكان للمنافسة القائمة بين تلك الجمعيات اثر مهم في نجاحها وسعيها كل حين لتحسين حالتها . والمنافسة اساس عظيم من اساس انتاج . وقد بلغ رأس مال بعضها زهاء مليون من الجنيهات ومائة الف مشترك وبعضها يبيع طعاماً وثياباً بثلثي

وما تربحه الشركة من ذلك تعود فتبني به بيوتاً . وقد ثبت بالاحصاء في بضع سنين ان عدد الوفيات في الالف من سكان هذه البيوت دون عدد الوفيات في غيرها من المساكن غير الصحية .

ومثل هذه البيوت في نظامها وفائدتها كثير في الممالك الصغرى في اوربا فيجد سيف كوينهاغ شركة بيوت العملة قد اقامت ألوفاً من المساكن للعملة والشركة مؤلفة من العملة انفسهم وهي لم تثابة صندوق اقتصاد فيدفع كل عامل في الاسبوع قرشين اي نصف فرنك حتى بلغ ما جمع من ذلك سنة ١٩٠٠ مقدار ٥٧٦٩٩٣٠ كورونا (الكورون فرنك واربعون سنتياً) فيشغلون هذه الدراهم ويعملون بانصيب فيجتمع من ذلك عشرون كورونا في ستة اشهر لكل عامل وبعد عشر سنين يعطى اذا اراد مادفعه مع ارباحه او يأخذ داراً واذا مات يأخذ ورثته هذا المبلغ . وما هو حري بالنظر في كوينهاغ بيوت التجارة والتخديمية البحرية التي انشاها الملك كريستيان الرابع

وشركة تخدين المنازل في سويسرا وميلان وناپولي ونيويورك حربة بالذكر ايضاً وكما تدور على تحسين مسكن الفقير وبعضها يعنى بالدفئة ايام الشتاء وباعطاء الماء الساخن بان شاء من الساكنين بلا مقابل والثاء الحرارة المعتدلة في مساكنهم وقد قامت بعض تلك الشركات بيد النساء فنجحت كما نجح شركات الرجال . مثل شركة الانسة كولنس سيف نيوبورك التي انشأتها على مثال شركة الانسة اوكتافيا في لندن لتطهير المساكن القذرة من قذارتها وتطهير نفوس ساكنيها من حمأة الرذائل فنجحت كلتا الشركتين وانما بارباح حسنة . وقد بدأت حكومة البرازيل منذ سنة ١٨٨٢ تساعد في انشاء البيوت الرخيصة فاصبح عددها في ريو جانيرو وحدها سنة ١٨٩٧ - ٥٠٠٠ مسكن . ومن تلك الشركات جمعيات اخذت على نفسها نشر الدروس الاجتماعية والدعوة الى عملها فكانت من افجع ما يكون من الاصلاحات العظيمة التي ادخلت على بيوت الفقراء وجعل بعضها غايته درس الاسباب التي تنشئ الاسرة على اساس طبيعي وهو تملكها ارضاً تحرثها وداراً تسكنها .

تتذرع للوصول الى هذا الغرض بكل وسيلة تمكنها من نشر المطبوعات ودعوة الحكومات او البلديات او ارباب الغنى الى انشاء صناديق لاييجار بيوت بثن بخس وتطالب بتن قانون تعفي الحكومة فيه من الضرائب ما يملكه الفقراء من المساكن والاراضي ولتخذ كل سبب ليتيسر للناس اقتناء مثل هذه البيوت او بقاؤها او انتقالها ومنها ما يعطي الخواص بيوتاً يسكنونها ويقيمهم بدون واسطة الحكومة ، يصيهم من الفاقة ايام عطلتهم ومن الشقاء وموت رب البيت قبل الاوان وهكذا تجدد الحركة قائمة في جميع البلاد المترجمة لتعميم هذه

المباني وتحسين حال البائس الفقير وهي كل يوم في انتشار وكثرة بحيث لا ينسلخ هذا القرن العشرون في اوروبا الا وقد انحلت فيها المذلة المعروفة بالمذلة الاجتماعية وان شئت فقل اهمها اذ يكون جميع العملة بمعين بيوت يسكنونها والشركات والجمعيات تحديهم من الفقر المدقع بعض الحماية ونقل بذلك الامراض كما يرى بعض الباحثين في احوال تلك المجتمعات اذ استدلوا على ذلك بان المساكن الطاهرة الصحية قد قلت فيها الوفيات عن المساكن القذرة والاكواخ الحقيرة التي هي في الحقيقة مبعث السل وغيره من الادواء المنهكة لجسم المجتمع . وقد قال الدكتور روم ان المسكن والطعام والعمل هي السبب في كثرة الوفيات بين العملة فالواجب الاسراع في اصلاحها وبغيرها لا اصلاح ولا فلاح وكل ذلك متوقف على الارادة اذا جهت والافراد اذا اقدمت وتكاثفت

لم تكثف الجمعيات في اوروبا واميركا بانشاء المساكن للفقراء وتقيتها والاستكثار لها من مرافق الراحة واسباب الصحة بل احبت تعجيدها وتزبينها والتأني في داخلها وخارجها لانهم رأوا السكنى في بيوت رخيصة لا تغني الغناء المطلوب وحده .

ارادت من الدور ان تكون معرضة للهواء محبة الى القلب وان لا يكون اثاثها وفرشها كثيراً فذراً بل ان تكون ماثلة الى البساطة تجمع اليها حسن الذوق والظرف لان عصر البيوت القذرة الضارة قد انقضى كما ينبغي القضاء على المساكن البشعة من داخلها الكئيبة التي تزل الساكنين فيها من البائسين وهم لا يشكون كالدود الذي يعيش في القاذورات . ارادت تلك الشركات ان تستعيز عن الاثاث البشع السيئ الصنع باثاث يكون يسره او اقل ولكن على صورة حسنة وتزبين ضروري وان لا يفرشوا بيوتهم فرشاً رديئاً كما هو الحال في بيوت الفقراء في اكثر بلاد الشرق . وذلك لان النظر الى هذه البشاعة مما تضيق به الصدور ويخرج القلوب كما لتأذى به العيون وتنفز منه النفوس ولان تعدين اللدوق دخلاً كبيراً في نهضة الامة

تري في بلاد الديمقراطية ان الفقراء من الرجال والنساء يحاولون ان يكونوا في ملابسهم كاهل الطبقة الوسطى على ان الالبسة التي كانوا يألّفونها فيما مضى لها من الرونق ما ليس لما يلبسونه اليوم على تكلفتهم الثقيل . وقد رأيت بعض الجمعيات انشاء البسة لاهل الطبقة الدنيا خاصة بشاركتها في لبسها اهل الطبقة الوسطى وتكون رخيصة الثمن زائفة في صحة الاجسام وصحة الاكياس وان يكون لمنزل اهل الطبقات النازلة ما لاهل منازل اهل الطبقات الوسطى حتى لا ينكسر خاطر الفقير ولا ينقصه شيء من راحة الاجسام ولذلك كان اول عمل بمولود ايجاد طريقة لتجديد البيوت القذرة وتزبينها كالتجديد بيوت الاغنياء وتزبين

خذ مثلاً لذلك الجدران فانهم رأوا ان تزين او يوضع عليها ما يزينها من البسط . وقانون الصحة يقضي بان يتيسر غسل الجدران وقد رأوا ان الورق الذي يجعل على الخيطان ويفسل لا يفتح الفقراء لانه غالي الثمن وان الاحسن ان نقش بالزيت وربما كان هذا النقش غالياً ولكنه اثبت وافرح للنظر ولا يصعب تطهيره كل مدة ويجعل الساكن عليها سوراً ورسوماً ومصورات واسونة للثياب وغيرها مما لا يتعدى في اوروبا اقتناؤه لرخصه وهو يزيد المكان رونقاً وبهجة .

ورأوا ان التوافد ينبغي ان تكون ستائرهما من قماش يمكن ان ينفذ او يفسل بسهولة فيكون من البتة لا من الحرير والاطلس او الشاش المزين بأنواع النقش والزينة اما التوافد التي في اعلى المنازل فتترك بلا ستائر . والاولى ان تكون الستائر متناسبة مع نقش الغرفة وتعلق بسج وحلقة .

اما سرر النوم فيجب ان تكون بحسب رأي بعض اهل الصحة مكتوفة بدون كلفة (ناموسية) من اعلاها لانه ثبت ان هذا القماش الموضوع يحبس نفس النائم . يحفظ الجراثيم الضارة بل يساعد على النمو والتعشيش وينبغي ان نشاط من عند رأس السرير قطعة من القماش تنزل وترفع بحيث تمتع بحري الهواء عن رأس النائم فقط ولا تكون هذه القطعة طويلة وتكون من ناحيتين بحيث ان النائم حينما انقلب لا تؤذيه اشعة النور اذا اتجهت نحوه وينبغي التقليل من الفرش ما امكن بحيث يسهل تقضه او غسله . كل هذا وبراغي في الاثاث الاقتصاد والجودة فيكون متناسباً مع نقش المنزل . وتجبر الاشياء المطبقة على الدوق لا بكلف الا بعض عناية وبذلك تعود بعض العادات سيئة بساطة البيوت التي كانت مألوفة . وليس الجمال في الاثاث والرياش المتكلف في صنعه والمزين من وراء الغاية بل الجمال في الفرش البسيط الاقتصادي النافع المناسب . وانا لارى احسن زينة في البيوت بانكترا هي ما كان منها من اصل ريفي مألوفاً في القرى والدساكر الا انه يجتمع الى البساطة نظافة وحسن ذوق .

وقد حسب ما ينبغي للفرش بيت الفقير على هذه الصورة وهو ان فرش غرفة المائدة وغرفة للاستقبال صغيرة وثلاث غرف للنوم فرشاً بسيطاً كما يكون البناء رخيصاً بالف وخمسة فرنك اما ان يدفعها الساكن دفعة واحدة واما ان يشتقها من الجمعيات والشركات التي اخذت على نفسها في اوروبا تقديم احسن الفرش للبيوت باثمان منهاودة فيدفع عن هذا المبلغ فائدة طفيفة وهي خمسة في المائة . واذا استأجر العامل او الفقير داراً من مثل هذه فلا تتجاوز اجرتها في اليوم وهي مفروشة احسن فرش وهي فرنكاً وثلاثين سنتياً .

وهذا رأيت ان لفرش البيوت في اوربا جمعيات كما ان فيها شركات وجمعيات لتقديم الطعام الرخيص والالبسة الرخيصة والمساكن الرخيصة بحيث آلى بعض ارباب العقول في اكثر الممالك الافرنجية ان لا يتركوا بيتاً قذراً ولا بشعاً وان تكون بيوت الفقراء كبيوت الاغنياء لطيفة الداخل والخارج ففى باترى ينسج الشرق على مثال الغرب سيفي مثل هذه الاعمال النافعة والحضارة الراقية

مثال الامة الراقية

جرت العادة ان نقسدي الامم بعضها ببعض ولا سيما فيما فيه اعلاها كملتها ونظام سعادتها فنطرس الامم النازلة على آثار الامم الناهضة . قال هنري ليشنبرج احد اساتذة كلية باريز في خاتمة كتابه المانيا الحديثة ونشوتها ما تعريبه :

لم يكن لالمانيا في اوائل القرن التاسع عشر كيان يدل على انها دولة عظمت بل كانت اشبه ببناء يتداعى والناس من حوله لا يميون بما يجري له . فلم يكن هناك دولة يصح ان تسمى المانيا بل كان امراء من الالمان منشقين على انفسهم يتحاسدون وقلما يحرصون الا على مطامعهم السافلة في الحكومة وهم اهل لكل تسفل لا يتحامون ارتكاب الخيانات على ضررهم بالاحتفاظ بسلطتهم الثمينة وثقوية امرهم وليس لهم من الكفاءة ما يستطيعون معه توجيه وجبة مطامعهم المتبعثرة عن اتانيتهم المتحدة نحو ما فيه تقع الامة بل كانوا يؤهلون بالغريب ويحالفونه لتقضاء آرائهم يعلنون الحرب على ابنا وطنهم اذا سما لهم امل يجلب بعض النفع من غدرهم وخيانتهم . وبين ظهري مثل هذه الامة المتقسمة الضعيفة لا يرجى ان تقوم قائمة للحياة السياسية وانما يكون لها ذلك ونظام الحكومة المطلقة فيها ضارب بجذرائه وكثيراً ما يستحيل الى استبداد بيد الحضراء والغضراء والناس مع هذا خاضعون خائعون حتى كادوا يقربون من حد الرق والعبودية

ابتعد الفلاحون وسكان المدن وارباب الصنائع واهل الطبقة الوسطى عن الاشتراك في الشؤون العامة واستسلموا لظلم الحكومة وطبقة الاشراف على ما فيه من النكد وهم ضعاف الحول والقوة لا قبل لهم برد عاذبتهم عنهم ولم يمددوا يداؤن بثة بالحياة الوطنية بل انفخوا الى دائرة اشغالهم الخصوصية

كل هذا والحياة الاقتصادية في الامة ضيقة النطاق حقيرة الشأن والشعب مشته